ومـن علمـاء الكـرد نبـغ في النصـف الثـاني مـن القـرن الثـامن الهجـري / الرابـع عشـر الميلادي الفقيه يوسف بن حسين الكردي الشافعي الذي كان عالماً صالحاً معتقداً يميل إلى السنة، ورد ذكره في سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م بأنه كان كبيراً يشار إليه وذلك لمكانته العلمية تولى بعض الوظائف الدينية. ومن اختياراته الفقهية المسح على الجوربين مطلقاً فقد كان يفعله بنفسه وصنف فيه كتاباً جامعاً للأحاديث والآثار المتعلقة به، ومن اختياراته ما يتعلق بتزويج الصغيرة التي لا أب لها ولا جد، ويذكر بأنه كان يرجح رأي الإمام ابن تيميه. وبيّن المؤرخ السخاوى أن يوسف الكردى كان ينكر على الأكراد في عقائدهم وبدعهم[١].

يفهم مما سبق أن يوسف الكردي كان متمسكاً بالسنة النبوية الطاهرة، ومع ذلك فإن اختياراته الفقهية تدل على مرونته وقدرته على الاجتهاد والاستنباط. وأما ما ذكر بصدد موقفه من البدع الشائعة بين الكرد نرى إنه نابع من حرصه الديني، ويستدل منه على انتشار نوع من البدع التي بين بعض الكرد في تلك الحقبة منها على ما يبدو للبحث تمسك الكرد ببعض الطرق الصوفية بما فيها التعلق والافتنان بالشيوخ الذي كان يؤدي أحيانا إلى الخروج عن جادة الشريعة، فضلاً عن انتشار تقديس بعض الأشياء والأماكن والمعتقدات التي هي من رواسب الديانات القديمة التي لا تتفق والسنة الطاهرة وسيرة السلف الصالحين، وهذه الحالة لم تكن مقتصرة على الكرد في تلك الفترة بل كانت سائدة بين الشعوب الإسلامية الأخرى، والظاهر أن استدلاله هذا مبني على كون الفقيه يوسف الكردي متأثر بآراء ومواقف الإمام ابن تيميه الذي يعد أشهر من رفع راية محاربة البدع والشوائب العقائدية الضالة في تلك الحقبة من التاريخ الإسلامي.

وقد تفقه عدد من علماء الكرد على مذهب المالكي حتى نبغوا فيه واشتهر عدد منهم للمذهب منهم الفقيه خليل بن إسحاق الجندي الكردي الذي كان رجلاً صالحاً فاضلاً زاهداً، توفي سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٦م، ومن آثاره الفقهية (شرح مختصر أبن الحاجب)[٢]

---

[١] الضوء اللامع، ج١٠، ص ص٣١١-٣١٢.

[٢] المختصر ابن الحاجب هو كتاب (منتهى السول والأمل في علمي الاصول والجدل) لابن الحاجب الحاجب الكردي المالكي (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، اشتهر الكتاب بمختصر المنتهي او مختصر ابن الحاجب وهو في أصول الفقه، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٨٥٣.

وله كتاب (مناسك الحج)[1]، ووصف بأنه تأليف بديع ولكن يعد كتابه (مختصر الفقه المالكي) من أشهر مصنفاته الفقهية فقد أجاد فيه واكب الناس على فهمه وحفظه[2] ومما يدل على شهرة هذا الكتاب ومكانته في الفقه المالكي كثرة شروحات علماء المالكية على الكتاب التي بلغ ما سجلها المؤرخ حاجي خليفة ثلاثة عشر شرحاً منها ما يصل إلى عشرة أجزاء[3]. يذكر المؤرخ أبن فرحون المالكي أن الشيخ خليل ألف شرحاً على (جامع الأمهات لأبن الحاجب سماه (التوضيح) حظي على استحسان العلماء وعكف الناس على تحصيله، والى جانب ذلك له شرح على مدونة فقهية لم يذكر إسمها[4].

وأما الفقيه القاضي برهان الدين بن محمد الهذباني الأخنائي فيعد من فقهاء المالكية، وكان عالماً بارعاً[5]، وأصبح قاضي القضاة المالكية بمصر سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م، إلى أن توفي سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٦م، وكان من أعيان فقهاء المالكية، صنف مختصراً في الأحكام[6]. وبهذا نجد أنه على الرغم من أن المذهب المالكي اقل المذاهب السنية انتشاراً بين الكرد ولكن ظهر منهم خلال تلك الحقبة علماء إجلاء سواء من أسرة الاخنائي أو غيرها.

ونستطيع أن نلخص ما استنتجناه من دور فقهاء الكرد في الحياة العلمية على النحو الآتي :

١. على الرغم من أن غالبية الكرد كانوا على مذهب الشافعي ولكن يلحظ بروز فقهاء منهم في المذاهب السنية الأخرى مما أدى إلى تعدد إسهامات فقهاء الكرد وتنوعها بحيث شملت الجوانب الفقهية من تلك المذاهب وبطبيعته الحال يعزى ذلك إلى اختلاط الكرد واحتكاكهم مع الشعوب الإسلامية الأخرى في مصر وبلاد الشام وغيرها تحول

---

[1] توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب في مكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة تحت رقم (١٣٨٤)، ينظر : محمد بن عثمان الكنوي، هاشم عبدالواحد احمد، فهرس مخطوطات جامعة أم القرى، (مكة المكرمة : ١٤٠٧هـ)، ج٢، ص١٥١.

[2] ابن القاضي المكناسي، درة الحجال، ج١، ص ص٢٥٧-٢٥٨ " احمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، (القاهرة : ١٣٥١هـ)، ص ص ١١٢-١١٥.

[3] ينظر، كشف الظنون، ج٢، ص ص ١٦٢٨-١٦٢٩.

[4] الديباج المذهب، ج١، ص ص٣٥٧-٣٥٨.

[5] الصفاعي، تالي وفيات الأعيان، ص١٤٦.

[6] ابن حجر، أنباء الغمر، ج١، ص١٥٩ " ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٣٦ " السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٤٦١ " ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٢٥٠.

بعض منهم إلى مذاهب أخرى غير المذهب الشافعي، كما وبطيعة الحال هناك بعض منهم توارثوا انتماءاتهم المذهبية عن آبائهم.

٢. نتيجة لتقلص دائرة الاجتهاد في الدين وتعلق الناس بجهود أئمة المذاهب الفقهية الأربعة في تلك الحقبة ظهر نوع من التقليد والتكرار في مجال الفقه ما أدى إلى هدر الطاقات الاجتهادية لغالبية الفقهاء بما فيهم فقهاء الكرد وانحصرت مجهوداتهم الفقهية في اختصار وشروح الكتب الفقهية المعتبرة التي خلفها كبار العلماء وقلما تصدوا للتصنيف المعتمد على القدرة في استنباط الأحكام الشرعية بمعزل عن الوقوع تحت تأثير الأئمة وقد أفضى هذا إلى تقوية المذاهب الموجودة وتراجع دور الاجتهاد.

٣. علاوة على الحقيقة التاريخية التي ذكرت آنفاً، هناك بعض محاولات جادة من قبل بعض علماء الكرد تصب في مجال استقلالية واهتمام الفقهاء والخروج عن المتبع في التمسك المذهبي النسبي بآراء واجتهادات الأئمة الأربعة، وذلك في ضوء قراءة جديدة لبعض المسائل الفقهية في اختيارات الفقيه يوسف الكردي وآراء الفقيه خليل الكردي المالكي في كتابه المختصر.

د. علم التصوف

يعنى هذا العلم بتزكية النفس عن الأخلاق الرديئة وتصفية القلب عن الأغراض الدنيئة ويقال له أيضاً علم الحقيقة[1] وعرفه بعض الصوفية بأنه ((الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق))[2] وبما أن العكوف على العبادة والإعراض عن الدنيا يشكل أحد الجوانب المهمة من علم التصوف، نجد أن الصوفية أطلقوا على أنفسهم اسم الفقراء[3] كما وكانوا يسمون بـ (غرباء) و (سياحين)[4].

شهدت بلاد الشام والديار المصرية خلال حقبة البحث ازدهاراً ملحوظاً في علم التصوف من حيث انتشار الطرق الصوفية، وبروز صوفيين كبار بعضهم كانوا من الفقهاء والمحدثين. وتجدر الإشارة إلى أن الفكر الصوفي في أول أمره كان يخضع لضوابط القرآن والسنة إلاّ أنه لم ينج من الوقوع تحت تأثير الثقافات الدخيلة إلى المجتمع الإسلامي بعد دخول أهل الديانات الأخرى إلى الإسلام فضلاً عن انتشار الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة الذي أدى إلى خروج بعض الصوفية عن آداب الشريعة، وليس هذا الخروج نتيجة طبيعية لتجربة روحية إسلامية بل بالتأثيرات الخارجية التي كانت لا علاقة لها بروحانية المتصوفة المتقين الذين تمسكوا بالكتاب والسنة[5].

لذلك نجد أن طائفة من العلماء المسلمين حاربوا تجاوزات بعض الصوفية واتباعهم التي انعكست في أقوال وتصرفات لا تنضبط بضابط الشريعة وفي مقدمتهم الإمام ابن تيمية الذي كانت حياته حافلة بالمواقف الجريئة في محاربة تلك التجاوزات والبدع المتفشية في المجتمع.

ومع ذلك هناك العديد من الصوفية جعلوا من العبادة وعدم مخالطة الدنيا طريقاً إلى الله تعالى حتى اصبح التصوف علماً متبعاً لا يعرفه إلاّ العلماء بالله، واشتهر في هذا المجال طائفة من علماء الكرد جمع أغلبهم بين التدرج في مدارج الصوفية والتمسك بأهداب الشريعة الإسلامية.

---

[1] حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٤١٣، هامش رقم (١).
[2] محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي، (بيروت : ١٩٨٠)، ص١٤٩.
[3] سعيد عبدالفتاح عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص١٨٧.
[4] الكلا باذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، (بيروت : ٢٠٠١)، ص ١٣.
[5] محسن عبدالحميد، تجديد الفكر الإسلامي، (القاهرة : ١٤٠٦هـ)، ص٥٦.

ومن أوائل علماء الكرد الصوفية في العهد المملوكي ورد ذكر الشيخ الصالح يوسف الكردي، الذي كان يقيم بمسجد الربوة بدمشق منفرداً وكان دائم الذكر والصلاة، توفي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وكان شيخاً جليلاً قد البسه الله الهيبة والوقار[١]، واشتهر بدمشق أيضاً الشيخ إبراهيم الفارقي الذي كان أصله من أسعرد وكان شيخاً صالحاً ملازماً اكثر أوقاته المجاورة بزاوية ملاصقة لجامع دمشق توفي سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م[٢].

وأما الشيخ إسماعيل بن محمد بن أبي بكر بن خسرو الكوراني، فيعد من الصوفية الزهاد في بلاد الشام، ((وكان من المشايخ المعروفين بالزهد والورع والعبادة والجد والعمل، منقطعاً عن الناس مؤثراً للتخلي مشتغلاً بنفسه وعبادة ربه والإقبال على آخرته، كثير التعرى في ملبسه ومأكله ومشربه يسأل العلماء عما يشكل عليه من أمر دينه، قل أن يوجد مثله في زمنه))[٣]، وكان مقصوداً بالزيارة معروفاً بالورع والصدق، توفي بغزة سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م بعد أن انتقل من مصر إلى بيت المقدس[٤]، بهذا يعد الشيخ إسماعيل الكوراني من الصوفية الملتزمين الذين كانوا معروفين بالإخلاص ضرب مثلاً رائعاً في حسن التصرف والتزام الصوفية بالكتاب والسنة.

ويعدّ الصوفي علي بن عثمان أمين الدين السليماني الاربلي من الصوفية الأدباء، ولد في أربل وانتقل إلى بلاد الشام ثم مصر، وكان جندياً ثم تزهد وصار فقيراً حتى أصبح أحد المشايخ الصوفية المعروفين وكان ديناً فاضلاً، علاوة على كونه شاعراً توفي بالفيوم سنة ٦٧٠هـ /١٢٧١م[٥].

---

[١] أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٩٩ " الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٥١-٦٦٠)، ص٣٠٨ " الكتيي، عيون التواريخ، ج٢، ص١٧٨.

[٢] ابو شامة، م.ن، ص٢١٠.

[٣] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٣٦٤ " الذهبي، م.ن، ص١٨٨ " الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص٢١٢.

[٤] الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٤٦١ " العبر، ج٣، ص٣١٢ " اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص١٢٤ " ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣١٧.

[٥] اليونيني، م. ن، ج٢، ص ص٤٨٠-٤٨١ " الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٦١-٦٧٠هـ)، ص٣١٠ ص٣١٠ " الكتيي، عيون التواريخ، ج٢٠، ص ص٤٢٥-٤٢٧ " العتيبي، عقد الجمان، ج٢، ص٩٦.

وأما معاصره الشيخ تقي الدين عمر بن يعقوبي أبي الفتح الأربلي الصوفي، فقد ولد أيضاً بأربل وبعد أن كبر انتقل إلى الشام وأصبح صوفياً محدثاً محباً للرواية ووصف بأنه كان خيراً ساكناً وهو من صوفية الخانقاه الشميساطية (السميساطية)[1] توفي بدمشق سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م[2].

يتضح من تتبع سيرة الصوفيين الاربيليين المتقدمي الذكر أنهم إنتقلا إلى بلاد الشام ومصر واشتهروا بها ولم يعتزلا الحياة الاجتماعية كما كان الحال عند بعض الصوفية بل ساهما في الحياة الثقافية ونستطيع أن نعدّ الأول من الشعراء المشهورين والثاني من المحدثين التقاة.

ومن الكرد الهكارية سلك الخضر بن خليل الهكاري مسلك الصوفية في العبادة، وفضلاً عن ذلك كان مؤذناً مهتماً بالحديث وروايته توفي بالقاهرة سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م[3].

وقد ذاع في بلاد الشام ومصر صيت الشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى المهراني العدوي[4] الذي كان اصله من قرية المحمدية من أعمال جزيرة ابن عمر، رحل إلى القاهرة واشتهر بالصلاح، وكان منشأ شهرته يرجع إلى بداية العهد المملوكي، إذ يتردد إليه الأمير سيف الدين قشتمر العجمي أحد أمراء المماليك وعرفه بأن الأمير بيبرس البندقداري سيملك الديار المصرية ويصبح سلطاناً، فلما تسلطن الامير بيبرس سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م وتحقق ما توقعه الشيخ خضر صار للملك الظاهر فيه عقيدة عظيمة بحيث ((كان ينزل إلى زيارته في الأسبوع مرة أو مرتين أو ثلاثاً على قدر ما يتفق ؛ لكنه لم يكن يغب زيارته والاجتماع به ويطلعه على غوامض أسراره، ويستشيره في أموره، ولا يخرج عن

---

[1] الخانقاه السميساطية، نسبة للسميساطي أبي القاسم علي بن محمد السلمي الحبشي الذي كان من أكابر الرؤساء بدمشق توفي سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م. وقف داره بباب الناطفانيين بدمشق على فقراء الصوفية عرفت بخانقاه السميساطية " النعيمي، الدارس، ج٢، ص١١٨.

[2] الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٧١-٦٨٠)، ص١٣٦، العيني، م.ن، ج٢، ص١٣٧ " ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٤١.

[3] الذهبي، م.ن، ص١٢٨.

[4] العدوي : نسبة إلى الشيخ عدي بن مسافر الهكاري ولد ببعلبك واصبح من مشاهير الصوفية عصره، استوطن في منطقة الهكارية ببلاد الكرد وتبعه خلق كثير جاوز حسن اعتقاده فيه الحد، اشتهرت طريقته الصوفية بالعدوية توفي سنة ٥٥٨هـ-١١٦٣م " ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ص٢٥٤-٢٥٥" وفي تاريخ التصوف الإسلامي اشتهرت أيضاً المدرسة العدوية التي تنسب إلى الصوفية الزاهدة رابعة العدوية (ت: ١٨٥هـ/٧٩٦م) " عبدالحكيم عبدالغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها (القاهرة: ١٩٩٩)، ص ١٤٩.

رأيه، ويستصحبه في سائر أسفاره وغزواته))[1]. وصار يعرف بشيخ الملك الظاهر ومما ازداد من ثقة الملك الظاهر وتعلقه به هو أن الشيخ - حسب ما ذكر في المصادر - كان يخبره بأمور قبل وقوعها فتقع على ما يخبره، وخصوصاً ما يتعلق بحروبه وفتوحاته في بلاد الشام[2]، وبهذا تمكن الشيخ خضر من الدولة وأعطاه الملك الظاهر بعض المناطق إقطاعاً[3] وبنى له عدة زوايا بمصر وبلاد الشام، إلاّ أنه وبدءاً من سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م تغير عليه السلطان واعتقله[4] وذلك استناداً إلى بعض الأقوال والوشايات التي أثيرت حول تصرفاته، وبقي في السجن إلى حين وفاته سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م[5].

ومن صوفية الكرد الذين كانوا على الطريقة العدوية اشتهر بمصر الشيخ يوسف الكردي المعروف بـ (أبونا) الذي كان من المجتهدين الصلحاء، بالغ في خدمة الفقراء مع كثرة العبادة والتخلي من الدين توفي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م[6]. وفي السنة نفسها توفي بمصر أيضاً الشيخ شرف الدين النهاوندي الذي كان مشهوراً بكثرة أسفاره ويعدّ من الصلحاء المتعبدين[7].

ويعدّ الشيخ محمد بن دسم الزاهد المشهور بـ (جاكير الكردي)[8]من كبار مشايخ الكرد، حيث نبغ في العراق وكان له بالقرب من سامراء زاوية كبيرة، والظاهر أنه إنتقل إلى بلاد الشام، واستوطن فيها ردحاً من الزمن واشتهر بالورع والعبادة إلى أن توفي سنة

---

(١) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص ص٢٦٤-٢٦٥ " العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق، بسام محمد بارود (أبو ظبي:٢٠٠٠)، س٨، ص ص ٢٦٧-٢٦٨ " الكتبي، عيون التواريخ، ج٢١، ص١٤٥.

(٢) للمزيد عن ذلك ينظر : الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص ص٤٠٤-٤٠٥ " ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٣٣٩.

(٣) ابن عباس، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق : عبدالعزيز عبدالله الخويطر (الرياض : ١٤١٠هـ)، ص٢٢٨.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٣٣٣-٣٣٤ " المقريزي، السلوك، ج٢، ص٨٢ " ابن تغري بردى، المنهل الصافي، ج٥، ص ص٢١٨-٢٢٠.

(٥) أبن أيبك، كنز الدرر، ج٨، ص ص ٢٢٢-٢٢٣ " المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٤٣١.

(٦) اليونيني، م.ن، ج٣، ص٢٩١ " الكتبي، م.ن، ج٢١، ص١٦٦ " ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص١١٢.

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٢٣٨.

(٨) ابن حجر، نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق عبدالعزيز بن محمد بن صالح السديدي، (الرياض : ١٤٠٩هـ)، ج١، ص١٦١.

٦٧٩هـ/١٢٨٠م وكان للناس فيه اعتقاد كبير [١]. كما وانتقل الشيخ علي بن احمد ولي الدين الجزري الشافعي من بلدة جزيرة ابن عمر إلى الموصل وتفقه هناك ثم رحل إلى حلب ودمشق ومصر واقبل على العبادة، بنى له معبداً في جامع بيت لهيا من غوطة دمشق وأقام به مدة طويلة إلى أن توفي سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، وكان رجلاً ربانياً مكاشفاً اشتهر بكونه صاحب أحوال ومقامات وللناس فيه اعتقاد، وصف بالشيخ الصالح الزاهد العابد الرباني العارف، ذكر المؤرخ اليونيني انه كردي الأصل وقيل أنه عباسي النسب لكنه لم يدع ذلك[٢]. وهذا يلفت انتباهنا إلى حقيقة انتساب بعض الشخصيات الكردية إلى إلى قبائل وأسر عربية مرموقة حتى عرفوا بها، وحل النسب محل الأصل في تعريف المؤرخين بهم.

ومن شيوخ الكرد في بلاد الشام ذاع صيت الشيخ الصالح عثمان بن خضر بن سعد الكردي المراكشي العدوي الذي توفي سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م وكان صاحب الكرامات، وذكر المؤرخ العيني أخباره باقتضاب وذلك على لسان أحد تلامذة الشيخ[٣].

وقد استوطن بعض صلحاء الصوفية الكرد بلاد الشام واشتهروا بالورع والزهد في نحو الشيخ المعمر حسن الكردي الذي كان مقيماً في بستان بالقرب من دمشق يأكل من كسب يده ويطعم من ورد عليه، وكانت له كرامات وأحوال يزوره الناس، وذكرت المصادر انه لما احتضر اغتسل واخذ من شعره واستقبل القبلة وركع ركعات وتوفي سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م[٤]. ووصف بأنه ((شيخ صالح زاهد، راقد في معارج المعارف صاعد، له حال وكشف وكوكب هدى قد تنزه عن الكسف، يقصده الناس بالزيارة، وتومى الأصابع إليه بالإشارة، كان مقيماً بالشاغور بظاهر دمشق منجمعاً عن الأنام قد ألف الخلوة وتعبد والناس نيام..))[٥].

---

[١] ابن الملقن، طبقات الأولياء، حققه وأخرجه : نور الدين شريبة (بيروت: د.ت)، ص ص٤٢٥-٤٢٧ " يقارن بـ: التادفي الحنبلي، قلائد الجواهر، بغداد، ١٩٨٤م، ص ص١١٢-١١٣.

[٢] ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص١١٢ " يقارن بـ : الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٣٥٧.

[٣] ينظر : عقد الجمان، ج٢، ص٣٧٦.

[٤] الصفدي، الوافي، ج١٢، ص ص٣١٣-٣١٤ " ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٥ " العيني، عقد الجمان، ج٤، ص١٤٧.

[٥] الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص٦٢٣، المناوي، الكواكب الدرّية، ج٢، ص٤٠٣.

وخلال تلك الحقبة انتقل الشيخ علي الكردي إلى مصر واستوطن بمنطقة قوص، وأشار إليه بعض المؤرخين في معرض ترجمتهم للشيخ كمال الدين ابن عبد الطاهر القوصي الصوفي (ت : ٧٠١هـ/١٣٠١م) الذي كان من مشاهير شيوخ مصر. ويفهم من النصوص التاريخية التي ترجمت له انه كان منشغلاً بطلب العلم، إلى أن قدِم إلى قوص الشيخ علي الكردي الذي وصف بأنه رجل ذو ورع وتقوى وعدّ من الصالحين، فاجتمع عليه ابن عبد الظاهر وعلماء وشيوخ آخرون، ولازموا الذكر وجدّوا في العبادة غاية الجد بمسجد الجلال بقوص[١]. ومن أصحاب الشيخ علي استمر أبن عبدالظاهر على طريقته، وغلب عليه النزعة الصوفية وسافر إلى القاهرة ثم انتقل إلى أخميم بنى بها رباطاً وانتفع به كثيرون وذاع صيته[٢]، يستدل مما سبق على ان الشيخ علي الكردي قام بنشر طريقته الصوفية في منطقة قوص، وأخذ عنه بعض تلامذته ولازموا طريقته حتى فاضت شهرة بعضهم كالشيخ كمال الدين شهرة الشيخ علي نفسه.

ومنذ سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م استوطن الشيخ نجم الدين أيوب الكردي الذي كان معه جماعة من الكرد في مدينة دمشق واشتهر بالصلاح وظهرت له أمور من المكاشفات واعتقده الأمراء، وكانت عادته أن لا يدخل إليه أمير إلاّ ويطالبه بهدية أو شيء ولاحظوه انه لا يدخره بل يتصدق به، ثم رحل إلى مصر وبنى له هناك زاوية والناس يزورونه إلى أن خرج مع العساكر لقتال المغول بالشام وقتل سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م [٣].

يلحظ أن المؤرخ ابن حجر أشار إلى أن الشيخ أيوب الكردي كان له مكاشفات وكرامات وشطحات وكان الأمراء والناس يزورونه وانفرد بقوله بأنه كان لا يوقر أحداً[٤]. ولكنه أن صح بأنه كان هكذا فما السبب من وراء زيارة الناس إليه دوماً ؟ يبدو ان الشيخ أيوب كان شيخاً مشهوراً قبل أن يرحل إلى بلاد الشام بدليل انه رحل بصحبته مجموعة من الكرد والذين نعتقد انهم كانوا من مريديه جاءوا معه، وإن بره بالناس ومشاركته في الحرب ضد المغول تدل على صلاحه وإخلاصه.

---

[١] الادفوي، الطالع السعيد، ص ص٣٩٢-٣٩٣ " السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج١، ص١٣١.

[٢] الاسنوي، طبقات الشافعية، ج٢، ص١٨٥ " ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ص٧٩-٨٠.

[٣] المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٦٧ " العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٢٩٤.

[٤] ينظر : الدرر الكامنة، ج٤، ص ص٤٦٤ -٤٦٥.

كما وقد ظهر بين الكرد في بلاد الشام صوفي اشتغل بالعلم بجانب العبادة وتزكية النفس، وهو الشيخ المبارك الناسك جبرائيل الكردي الذي كان من تلامذة الإمام النووي، وروى عنه الحديث[1]، والظاهر انه نفس جبريل الكردي المكي الذي ترجم له المؤرخ ابن رافع وذكر انه كان يصحح على الأمام النووي الأحاديث الأربعين توفي سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م[2].

وفي مصر نبغ الشيخ شرف الدين بن نور الدين بن سعد الأربلي الكردي الذي وصف بان غيبته كانت اكثر من حضوره ومع ذلك عظم اعتقاد الناس فيه وكثرت اتباعه توفي سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م وكان صوفياً جليلاً من ذوي المناقب والكرامات الظاهرة قصده الناس من الأقطار للزيارة وطلب الدعاء، وبلغ مكانة الشيخ شرف الدين في العبادة والورع حداً قل أمثاله حتى نقل عن الشيخ برهان المتبولي[3] قوله أنه رأى الرسول (ﷺ) وقال له : ((ما في أولياء مصر بعد محمد بن إدريس اكبر فتوة من احمد بن علي البدوي[4] ثم نفيسه[5] ثم شرف الدين الكردي ثم المنوفي)[6]. وبهذا إذا صح القول يعد الشيخ شرف الدين من اشهر شيوخ مصر، حيث جمع بين التسليك والتمسك بالكتاب والسنة ولم تكن له شطحات ولا تصرفات غريبة.

---

(١) اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص١٣٩ " السخاوي، المنهل العذب الروي، ص١٠٠.

(٢) منتخب المختار، ص ص٣٨-٣٩.

(٣) برهان المتبولي : إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري أصله من بلدة متبول في مصر، قدم إلى القاهرة واشتهر فيها، توفي سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)، ينظر : السيوطي، نظم العقبان في أعيان الأعيان، باعتناء : فيليب حتي (نيويورك : ١٩٢٧م)، ص ٢٣ " المناوي، الكواكب الدرّية، ج٣، ص ص ١١٩-١٣١.

(٤) احمد بن علي البدوي : أحمد بن علي بن إبراهيم ولد بمدينة فاس، عرف بالبدوي للزومه اللثام، انتقل إلى مصر، واشتهر كأحد مشايخ الصوفية، توفي سنة (٧٣٣هـ/١٣٣٣م) " إبن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٤٢٢ " محمد أبو الفيض المنوفي الحسيني، جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف، (القاهرة : ١٩٦٧)، ص ٨٢ .

(٥) نفيسة : نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولدت بمكة ونشأت بالمدينة، انتقلت إلى مصر وأقامت بها، توفيت (٢٠٨هـ/ ٨١٠م)، أبن خلكان، وفيات الأعيان ج٥، ص ٤٢٣" الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ١٠٦.

(٦) المناوى، الكواكب الدرية، ج٢، ص٣٨٧، ج٣، ص ص٣٠-٣١ " يقارن بـ: الشعراني، الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار (بيروت :د.ت)، ج٢، ص٣ " عبدالكريم محمد المدرس، علماؤنا، ص٢٣٣.